من أدبائنا

الشيخ عبدالله العجيري

١٢٨٥ - ١٣٥٢ هـ

١٢٨٥ - ١٣٥٢ هـ

للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف
ابن عبدالله آل الشيخ

بدافع الاعجاب والتقدير لنوابغ العلم والأدباء اكتب على صفحات مجلة دارة الملك عبد العزيز الغراء عن حياة أديب رافق مسيرة الجهاد المقدس وسار في موكب رافع علمه وحامل لوائه جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله وهذا الأديب هو الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد بن الشيخ سعد (العجيري) ولد رحمه الله في حوطة بني تميم بنجد سنة الف ومائتين وخمس وثمانين للهجرة ونشأ في احضان والده وقرأ القرآن نظرا وعن ظهر قلب وقرأ مبادىء العلوم على والده ثم قرأ في التوحيد والفقه والنحو على الشيخ ابراهيم بن عبد الملك آل الشيخ وقرأ على غيره من علماء وطنه ، وسافر الى مدينة الرياض وبقي بها مدة تعرف على العلماء الموجودين فيها وحضر مجالسهم واستمع الى حلق دروسهم وافاد منها ثم سافر الى الجبال وبعد ذلك آب الى بلاده وكان ميالا بطبعه الى الأدب ورواية أشعار العرب مهيأ موهوبا حباه الله قوة الذاكرة وسرعة الخاطر الى جمال الصوت وحسن الترنم بما يتلوه من شعر ونثر فاحسن رحمه الله استعمال هذه المواهب وتغذيتها فاتجه برغبة شديدة الى قراءة كتب الأدب وما دون من أشعار العرب وما حوته بطون التواريخ والسير ، وأودع ذاكرته رصيدا كبيرا من الآداب والفنون ، فاشبه رحمه الله حفظة الأخبار ورواة الأدب الأولين أمثال حماد وأبي عبيد والأصمعي وغيرهم ممن عرفوا بقوة الحفظ وكثرة الرواية وحسن الأداء والصياغة ، وبعد هذا التحصيل الأدبي بقي في بلده مغمورا حتى شاء الله له الخير وأذن لمواهبه بالانطلاقة والبروز فذكر للملك عبد العزيز ، سنة الف وثلاثمائة وثمان وعشرين ، فدعاه الملك وألحقه بمعية جلالته يغزو في موكبه في عداد العلماء من القضاة والأئمة والمرشدين الذين اختارهم الملك عبد العزيز يرافقونه رحمه الله في جهاده المقدس ومسيرته الخيرة ٠ ابان توحيد جلالته أجزاء هذه المملكة وارساء قواعد الأمن والايمان فيها ، فانتظم اديبنا في سلك هؤلاء العلماء وظيفته القراءة في الموكب والموكب مدلج في ظلمة الليل ، وقد صور لنا المرحوم الشيخ يوسف ياسين أديبنا (العجيري) وهو يحث راحلته في الموكب الملكي وصوره رافعا صوته بالقراءة فيه ٠ وتحدث لنا عنه حديثا شائقا يطرب السامع ويستهويه قائلا عنه في رحلته بالحرف الواحد ما نصه (حتى اذا أدلج الليل وكل الحادي وكاد الركبان يملون نادى الملك (العجيري) فحث راحلته وتقرب من وسط الجمع فحمد الله واثنى عليه

بما هو أهله ثم اختار موضوعا من فنون الأدب في مكارم الأخلاق أو في التقوى أو مخافة الله أو في السير والتاريخ الى غير ذلك من فنون القول فبدأ كلامه بقوله « (فصل) في مكارم الأخلاق » فذكر جميع ما ورد في كتاب الله عنها ٠ ثم ذكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة والتابعين أو عن العرب من جاهليين واسلاميين ومخضرمين ومولدين ومحدثين أو ما ورد في أقوال أئمة الهدى من العلماء الاعلام فاذا بدأ في روايته رأيته كالسيل المنحدر يغرف من بحر لا يتلعثم ولا يتلكأ يصل القول بالقول ويعزو كل قول لقائله ثم تراه يغرب ويشرق ويجوب حدائق الأدب العربي فيقتطف من كل غصن زهرة وينثر علينا من زهور اجتناها وأودعها (ذاكرة) ما رأيتها خانته في ليلة من الليالي ولا عزت عليه طول الادلاج وتكرر الأيام ولقد ظننت لأول ليلة أن الشيخ قد حفظ ما رواه لنا من كتاب جمع هذه الأقوال فهو يروي لنا ما وجده مجتمعا في كتاب خاص معين ، ولكن لما تكررت الليالي وجدت أن الشيخ لم يحفظ ذلك في كتاب معين وانما هي أقوال في ذاكرته من مختلف الكتب متى أرادها نظم عقدها ونضد وضعها بحيث لا يمل السامع ولا يسأم ويتمنى أن يطول السري حتى لا يسكت الشيخ (العجيري) فاونة تراه واعظا يسيل العبرات فمنذرا ومخوفا بكلام مختار منتقى يأخذ بالألباب ويؤثر في الصم الجلاد وحينا تلقاه مبهجا مسرا بما يرويه مما أعده الله لأهل طاعته واذا ذكر الكرم وأخبار الكرماء أجاد وأفاد وان بحث في الشجاعة والاقدام جعل القوم آسادا وهكذا في أي فن من فنون القول أخذ أجاد وأبدع ومن أشد ما يلفت النظر في أمر الشيخ أنك تراه يصل القول بالقول بلحمة من ألفاظه كأنها من نوع ما يرويه لا ترى في كلماته شذوذا ولا نفورا ، بلفظ منسجم على غاية من البلاغة والايجاز لا تظنه اذا سمعته أنه من مروياته لا من نسج لحظته ٠ وقلما كانت تفوت الشيخ النكتة الأدبية اذا جاء وقتها ولكنه يرويها بأسلوب يجعل لها تأثيرا من نوع ما يروي ولولا ظلمة الليل وأن راكب الراحلة لا يستطيع الكتابة لحملت من هذه الرحلة للأمة العربية كتابا شائقا في الأدب العربي من مرويات الأستاذ ، ولست مبالغا اذا قلت اني قرأت البيان والتبيين للجاحظ ورأيت كيف أن صاحبه تدعوه الاشارة الى المعنى فيلبيها طائعا ثم يجول معها ويسير ويروي ويقول ثم يعود لصدد ما كان فيه من غير أن يمل بل على العكس يزيد في نشاطه وشوقه ، هكذا صنيع الجاحظ في بيانه وتبيينه وكذلك كان شأن الشيخ (العجيري) بلياليه معنا في هذه الرحلة ٠ ولقد أقام

لنا الدليل على أن ما روي لنا من أخبار الرواة الأولين وما كانوا يحفظونه من الشعر والنثر أمثال حماد والأصمعي وأبي عبيد وغيرهم لم يكن خيالا شعريا وانما هي حقائق واقعة . وأن أمالي أبي علي القالي وأضرابه لم تكن الا من قبيل ما يرويه لنا الشيخ في الطريق وكنا اذا نزلنا وحضر الشيخ مجلس الملك سأله جلالته عن أحسن ما قالته العرب في الوصف أو في الحماسة أو في الكرم أو في غير ذلك من فنون الكلام فلا تلقى الشيخ الا حاضر البديهة سريع الخاطر يجيب كانه استعد للجواب من قبل واستحضر له ، وأمره لم يكن كذلك بل هو وحي خاطره وسرعة ذاكرته واذا جلسنا الى الشيخ وروي لنا شيئا من الشعر أفاض عن علم واسع بمعنى الكلام وأورد شواهد عدة في شرح كل كلمة من كلماته بغير تكلف أو اجهاد ذاكرة ، وخلاصة ما يقول في هذا النابغة الرواية انه حجة المتقدمين للمتاخرين وسمير المجالس وزينة المحافل ، وهو الخليق أن يعد من الضنائن ومما يتحلى به الشيخ على غزارة مادته وسعة رووايته خلق طيب ونفس عالية تجده كثير الانفراد قليل الاختلاط ، وما رأيته يوما على ظهر راحلته الا ذكرت قول ابن أبي ربيعة :

قليل على ظهر المطي ظله
سوى ما نفى عنه الرداء المحبرا

وكذلك الشيخ نحيف الجسم أسمر اللون قليل الكلام الا اذا تناول موضوعا من المواضيع .

ومن لم يعرف نجدا وعلماءها وانقطاعهم الى طلب العلم رأى العجب كل العجب في ظهور أمثال (العجيري) في هذه الديار ولكن طلاب العلم منهم يقضون لياليهم في الاجتهاد والتحصيل والحفظ والناس نيام فاذا كملت لهم مادة العلم حمدوا غب السرى وظهر فيهم أمثال هذه النابغة (العبقري) انتهى ما أورده الشيخ يوسف ودونه في رحلته التي قام بها في معية الملك ، عن الشيخ (العجيري) . رحم الله الملك عبد العزيز وبل بوابل الرحمة ثراه وجعل جنة الخلد نزله ومأواه وجزاه عن جهاده في سبيل نصرة الدين وجمع كلمة المسلمين خير الجزاء . ورحم الله الشيخ (العجيري) مضى اليوم على وفاته خمسة وأربعون عاما حيث وافاه الأجل المحتوم سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وخمسين فبكاه الأدباء بأدمعهم ورثوه بقصائدهم وحسبنا أن

نذكر منهم في هذا الموضع صديقه الحميم شاعر نجد الكبير في زمنه الشيخ محمد بن عبدالله ابن عشيمين حيث رثاه بقصيدة بائية مؤثرة نقتطف منها هذه الأبيات التالية :

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب
متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب

نشاهد ذا عين اليقين حقيقة
عليه مضى طفل وكهل واشيب

ولله كم غاد حبيب ورائح
نشيعه للقبر والدمع يسكب

اخ او حميم او تقي مهذب
يواصل في نصح العباد ويدأب

نهيل عليه الترب حتى كانه
عدو وفي الأحشاء نار تلهب

سقى جدثا وارى ابن احمد وابل
من العفو رجاس العشيات صيب

وانزله الغفران والرضا
يطاف عليه بالرحيق ويشرب

فقد كان في صدر المجالس بهجة
به تحدق الأبصار والقلب يرهب

فطورا تراه منذرا ومحذرا
عواقب ما تجني الذنوب وتجلب

وطورا بآلاء الاله مذكرا
وطورا الى دار النعيم يرغب

ولم يشتغل عن ذا ببيع ولا شرا
نعم في ابتناء المجد للبذل يطرب

فلو كان يفدي بالنفوس وما غلا
لطبنا نفوسا بالذي كان يطلب

ولكن اذا تم المدى نفذ القضا
وما لامرىء عما قضى الله مهرب
اخ كان لي نعم المعين على التقى
به تنجلي عني الهموم وتذهب
فطورا باخبار الرسول وصحبه
وطورا بآداب تلذ وتعذب
على ذا مضى عمري كذاك وعمره
صفيين لا نجفو ولا نتعتب
وما الحال الا مثل ما قال من مضى
وبالجملة الأمثال للناس تضرب
لكل اجتماع من خليلين فرقة
ولو بينهم قد طاب عيش ومشرب
وصل الهي ما همر الودق أو شدا
على الأيك سجاع الحمام المطرب
على سيد السادات والآل كلهم
وأصحابه ما لاح في الأفق كوكب

آخرها رحم الله الراثي والمرثي وايانا وجميع المسلمين ، هذا ولا يفوتني التنويه بما أنعم الله به على هذه المملكة من عديد النعم والتقدم في جميع المعارف والعلوم فهي ولله الحمد تزخر بالألوف المؤلفة من العلماء الأعلام والأدباء الكبار الذين اتجهوا بالأدب اتجاها نافعا ومفيدا فاثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم القيمة وملأوا الصحف بانتاجهم العلمي الأدبي .

نسال الله أن يطيل عمر امام المسلمين جلالة الملك خالد بن عبد العيزز الذي آزر العلم وناصر الدين وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز انه سميع مجيب وصلى الله على محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .